

رحلات

رحل الدكتور عبد الوهاب عزّام رحلات شتىٰ إلى تركية والعراق وايران والمجاز والشام وأوربة، ودوّن في كتاب سماه : الرحلات ، مارآه وما شعر به في بلاد الإسلام متوكلاً غایتين : الأولى التعریف بأحوال البلاد الإسلامية ، والثانية تدريب النشء على فن الوصف .

يغلب على الدكتور عزّام في رحلاته الميل إلى أمور كثيرة ، فمرة يتراوئ له في هذه الرحلات شبح التاريخ ، فتتزاحم في صوره الذكر والمعظات ، فلا يطوي سيناء إلا ذكر الطور الذي آنس موسي من جانبه نور الهدى ، ولا يمر بذلك الصحاري المديدة إلا رأى الجيوش على رماها هازمة ومنهزمـة ، جيوش الفراعنة ذاهبة إلى الشام وراجعة منها ، وجيوش بابل وفارس والاسكندر والروماني والعرب والترك . ومرة تظهر على رحلاته آثار الولع بالآدب ، فلا تقع عينه على طبرية إلا ازدحمت على ذهنه قصيدة المتنى في موجها وطيرها وجناها :



والموج مثل الفحول منبداً تهدر فيها وما يهـا قطـم
 والطير فوق الحباب تحسـبـها فرسـانـ بلـقـ تخـونـهاـ الـبعـمـ
 وحيـنـاـ يـنـطـلـقـ قـلـهـ بـدـقـةـ الـوـصـفـ ،ـ فـاـذـاـ دـخـلـ الـمـسـجـدـ الـأـقصـىـ فـيـ الـقـدـسـ نـكـلـمـ
 عـلـىـ فـنـائـهـ الـعـظـيمـ ،ـ وـعـلـىـ حـجـرـاتـهـ وـشـجـرـاتـهـ الـمـنـفـرـةـ ،ـ وـعـلـىـ قـبـتـهـ وـصـخـرـتـهـ وـغـيـرـ ذـلـكـ .ـ
 وـحـيـنـاـ تـفـيـضـ النـكـتـةـ فـيـ خـلـالـ كـلـامـهـ ،ـ فـلـاـ يـكـادـ يـصـلـ إـلـىـ نـابـلـسـ حـتـىـ يـشـيرـ
 إـلـىـ شـغـفـ رـفـقـائـهـ بـكـنـافـتـهـ الـمـشـهـورـةـ ،ـ وـحـبـهـمـ لـهـذـهـ الـكـنـافـةـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ الـمـطـرـ وـالـظـلـامـ .ـ
 وـطـوـرـاـ يـجـيـشـ الشـعـرـ فـيـ صـدـرـهـ فـيـوـدـعـ بـغـدـادـ وـيـنـاجـيـهـاـ :ـ
 بـغـدـادـ !ـ تـاجـ الـحـقـ الـخـواـليـ وـدـرـةـ الـمـسـتـقـبـ الـمـكـثـوـتـ .ـ
 وـطـوـرـاـ تـجـيـشـ الـصـوـفـيـةـ فـيـ نـفـسـهـ ،ـ فـتـمـلـيـ عـلـيـهـ الـكـلـامـ عـلـىـ مـوـلـانـاـ جـلـالـ الـدـينـ
 الـرـوـمـيـ ،ـ فـيـزـورـ بـقـعـتـهـ ،ـ وـبـرـىـ فـيـ سـمـاءـ هـذـهـ الـبـقـعـةـ آـثـارـ الـشـعـرـ وـالـحـكـةـ وـالـتـصـوـفـ الـتـيـ
 اـسـتـفـاضـتـ فـيـ آـفـاقـ الـإـسـلـامـ مـنـذـ ستـةـ قـرـونـ ،ـ وـيـنـدـفـعـ فـيـ وـصـفـ دـارـ الـمـوـلـوـيـةـ فـيـ
 قـوـنـيـةـ ،ـ اـنـدـفـاعـاـ يـتـبـيـنـ فـيـ مـقـدـارـ مـيـلـهـ إـلـىـ مـوـلـانـاـ جـلـالـ الـدـينـ الـرـوـمـيـ ،ـ وـاـنـبـاطـهـ إـلـىـ
 آـثـارـهـ ،ـ وـغـزـارـةـ اـطـلاـعـهـ عـلـىـ هـذـهـ الـآـثـارـ .ـ

حـتـىـ إـذـاـ بـلـغـ الـحـجازـ ،ـ وـظـلـعـ سـرـاءـ ،ـ اـبـتـقـ لـذـهـنـهـ مـنـ غـارـ حـرـاءـ نـورـ مـحـمـدـ بنـ
 عـبـدـ اللهـ الـذـيـ فـرـإـلـىـ هـذـهـ الغـارـ مـنـ ضـوـءـ الـحـيـاةـ وـأـكـاذـبـهـاـ ،ـ وـمـنـ مـظـالـمـ النـاسـ
 وـمـفـاسـدـهـ وـمـنـ باـطـلـ الـعـقـائـدـ وـزـوـرـهـاـ ؟ـ وـجـرـىـ يـاـنـهـ فـيـ هـذـهـ الـذـكـرـيـ بـحـرـىـ يـدـلـاـ
 عـلـىـ مـبـلـغـ الـإـسـلـامـ وـسـيـدـنـاـ مـحـمـدـ مـنـ قـلـبـهـ .ـ
 وـهـكـذـاـ فـقـدـ كـانـتـ رـحـلـاتـ الـدـكـتـورـ عـبـدـ الـوـهـابـ عـزـامـ مـادـةـ لـطـيفـةـ فـيـ الـوـصـفـ
 يـجـدـ فـيـهـاـ الـقـارـئـ ؟ـ ثـنـفـاـ مـنـ كـلـ شـيـءـ تـشـحـذـ خـيـالـهـ ؟ـ وـتـصـقلـ فـهـمـهـ .ـ

سبـقـبـسـ جـبـرـيـ

